مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ **ISSN:** 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 18 عدد: 01 أوت 2022
العنوان: الأمير القادر: استراتيجيات، مواقف،عبر... ص.ص 745- 774.

الأمير القادر: استراتيجيات، مواقف،عبر اعتمادا على مصادر أرشيفية

العربي بلعزوز
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة حسيبة بن بوعلي. الشلف
l.belazzouz@univ-chlef.dz

تاريخ الإرسال: 2020/10/24 ؛ تاريخ القبول: 2021/09/22

Emir Abdelkader: Strategies, Positions and lessons According to archival sources

Belazzouz Larbi

الملخص:

صدرت عن الأمير عبد القادر طيلة فترة مقاومته للمحتل مجموعة من القرارات والمواقف الفريدة والمتميّزة. ورغم أن ما كتب عن هذه الشخصية الوطنية البارزة غزير وبلغات شتّى ، إلاّ أنني أعتقد جازما بأنّ مع ذلك لا تزال هناك جوانب من شخصية هذا البطل الرّمز تسترعي الكشف والتجلّي تخصّ بعض الاستراتيجيات العسكرية وبعض المواقف الإنسانية السّامية، ولذلك فهي ثانيا درس وقدوة لكل شعوب العالم بحكم كونه شخصية تتجاوز الزمان والمكان والمشارب والثقافات والمعارف.

يُبرز البحث بعض مهارات الأمير عبد القادر العسكرية كاستعماله للمستعمر كمصدر للسّلاح، بالإضافة إلى ابراز جزء من خطته الهادفة إلى طرد المحتل نهائيا من البلاد عبر مرحلتين: مرحلة الحرب النّفسية ثم الإجهاز العسكري. هذا علاوة على بعض المواقف السّامية والرّفيعة التي تجلّت مع نهاية مقاومته، تخصّ النضج والحكمة والادراك السّليم لثقل المسؤولية، وتجسّد ذلك في مواقف وطنية متميّزة حتى وهو في أصعب محطّة في مسار حياته يُستحسن أن توضع في متناول القارئ الجزائري وغيره.

الكلمات المفتاحية:الأمير عبد القادر،بيجو، لويس فيليب، أحمد بوضربة، الأسرى.

Abstract:

Throughout his resistance to the occupier, Emir Abdelkader delivered a group of unique and distinct decisions and positions. While what has been written about this prominent national figure is abundant and in different languages, I firmly believe that there are nonetheless other aspects of the personality of this symbolic hero that deserve disclosure regarding certain military strategies and of some distinguished humanitarian positions. The Emir Abdelkader is an example for Algerians and all the peoples of the world because he is a personality who transcends time, space, languages and cultures.

The research highlights some of the prince's military skills, such as his use of the enemy as a source of weapons, in addition to highlighting part of his plan to expel the occupier from the country in two stages: the stage of psychological warfare then the military end. This is in addition to some of the remarkable attitudes that emerged with the end of his resistance, regarding his high maturity, wisdom and awareness of the weight of responsibility, and this was evident in distinguished national positions, even when he was at the most difficult stage of his life.

Keywords: Emir Abdelkader, Begeaud, Louis Philippe, Ahmed Boudarba, prisoners.

المقدمة:

كان الأمير عبد القادر الجزائري قائدا متكاملا؛ فقد جمع بين التفاني في الدفاع عن الحمى بقوة السلاح تارة وبالحكمة والديبلوماسية تارة أخرى، كما عّرف بعدله وإنسانيته الرّاقية البعيدة عن كلّ أنانية وحبّ الذّات، وهو ما تجلّى في نهاية مقاومته البطولية والمتميّزة، علاوة على ما كُتب عن تصوفه وأدبه وفلسفته في الحياة وغير ذلك الكثير.

هذا الإلمام الواسع والاطلاع الكبير أبهر العدوّ قبل الصّديق، خاصّة إذا علمنا بأن تلك الخصال والميزات تجسّدت فعلا في حروبه ويومياته ومعاملاته ولم يكن أمرا نظريا فقط.

بالرّكون إلى بعض الوثائق الأرشيفية، التي أشار اليها بعض المؤرّخين من الجزائريين إشارة عرضية، سأُنوّه بهم لاحقا، وأخرى أحاول من خلال هذا البحث ابراز بعض خطط الأمير العسكرية غير المسبوقة، وبعض المواقف الإنسانية الراقية والسّامية حتى في أصعب وأشقّ المواقف، والتي تكشف عن جانب آخر من شخصية الأمير القوية والمتينة التي تتأقلم مع كل الظروف والمعطيات لتتحوّل إن اقتضى الأمر وبكل تواضع وتفهُّم ورأفة إلى شخصية عطوفة وحنونة ورحيمة.

كما يهدف هذا البحث أيضا إلى رفع بعض مما ألصق بالأمير من مظالم من بعض القادة الفرنسيين وفي مقدمتهم بيجو، ومن بعض الجزائريين الذين اعتبروا أنّ تقدّمه إلى السلطات الاستعمارية ينضوي تحت إطار التنصّل من المسؤولية أو الخيانة أو التسرّع ونحو ذلك ...

وكنت قبل هذا أتحاشى الحديث عن نهاية مقاومة الأمير عبد القادر فيما كتبته من بحوث عنه، إلاّ أن اكتشاف الحقائق يقضي بل يفرض علينا الحديث عن ذلك عبر الكشف عن الحقائق التي لا تزيد الأمير إلاّ سمُوّا ورفعة وقيمة خاصة بعد أن حوصر من كل الجهات، واستنزفت منه كل الطاقات والامكانيات وتعدّدت ضده الوشايات والخيانات.

هذا عن أهداف البحث، أما الإشكاليات التي يتناولها بالدراسة فتتركّز حول الجديد في استراتيجية الأمير العسكرية، وتفسير وتعليل النهاية التي آلت إليها مقاومة الأمير، وهل كان ذلك بسبب تقصير فعلي منه، أم أن ذلك كان نتيجة اجتماع عوامل كثيرة ومتعددة؟

1 . كفاءة عسكرية وخطط عبقرية:

برع الأمير عبد القادر في تنويع مصادر تسليح جيشه، حيث استعمل الكثير من الصيّغ الكلاسيكية كالشراء والتصنيع ...لكنّه سلك أيضا سبلا أخرى من أجل تمكين جيشه من وسيلة المقاومة الأساسية.

1.1 العدو مصدر للسّلاح:

كنت أعتقد بأنّ استعمال العدو كمصدر للسلاح على نطاق واسع لم يتجسّد إلاّ خلال الثورة التحريرية، لكن ما كشف عنه المؤرّخ العسكري العقيد بول أزان منذ سنة 1923 من خلال وثيقة تعود إلى سنة 1845عثر عليها في الأرشيف العسكري والتي تقرّ بأنّ الأمير هو أوّل من استعمل العدوّ كمصدر للسلاح وعلى نطاق واسع خلال فترة الاحتلال(Colonel Paul Azan, 1923, p.3).ولكن قبل ذلك يتوجّبُ علينا الوقوف عند هذه الوثيقة لمعرفة قيمتها وصاحبها.

يقول (العقيد بول أزان) بشأن هذه الوثيقة التي بين أيدينا بأنّها كانت ضمن مجموعة من وثائق أخرى قام بجمعها أحد ولاّة عمالة الجزائر(M. Lacroix)، وقد تمّ إبلاغ مصلحة الأرشيف العسكري بباريس بشأنها سنة 1863م، ونظرا لأهميتها بالنسبة لبول أزان قام بنسخ محتواها. ثم يضيف بأنّ الوثيقة غير موقّعة ولذلك فهي تُنسب إلى كاتب مجهول، لكن الأكيد يضيف (أزان) بأنّها كتبت من قبل شخصية واسعة الثقافة وشديدة الاطّلاع بكل ما يحدث في الجزائر نهاية سنة 1844 وبداية السنة التي تليها. وكان موضوعها العام هو اقحام "الأهالي" في الجيش الفرنسي، ولكن ما يهمنا منها هو المقاطع التي أشار فيها إلى عبقرية وخطط الأمير واستراتيجيته (أنظر التعليق رقم 2).

وممّا كتبه ذلك المثقّف المجهول العارف بأمور الجزائر في حديث له عن المجنّدين الجزائريين في الجيش الفرنسي معطيات تخصّ الجانب العسكري للأمير عبد القادر الذي استعمل المستعمر للحصول على السلاح واللباس ومختلف التجهيزات، وذلك خارج ما كان بين

الطرفين من اتفاقيات تخص السّلاح ويُستثنى من ذلك أيضا ما كان يُجمع بعد المعارك والكمائن؛ حيث كانت تتقدّم عناصر جزائرية من المراكز العسكرية للمحتل موهمة إيّاه بأنّها وفدت للانضمام إلى الجندية الفرنسية، وعندما يتم تجهيزها تجهيزا شاملا بعد أيّام من ذلك، تقوم تلك المجموعات بالفرار ليلا والالتحاق بقوات الأمير:

"لقد شهدنا توافد العديد من العرب على مراكزنا العسكرية، وبعد قيامهم بالتأشير على أسمائهم في قائمة المراقبة...، ثم في منتصف ليلة جميلة يفرّون في مجموعات حاملين معهم ملابسهم ومعداتهم وأسلحتهم. لقد جاءوا للاستكساء وتسليح أنفسهم على حساب فرنسا ثم المغادرة لخدمة عبد القادر (Colonel Paul Azan, 1923, p.4).

حتى وإن لم يشر صاحب الوثيقة إشارة واضحة إلى أن الأمير عبد القادر هو من كلّف هؤلاء الجزائريين بذلك، إلاّ أنّ حديثه عن فرارهم في جماعات يدفعنا إلى القول بأنّ الأمر كان فيه تفكير وتنسيق وتنظيم وتخطيط مسبق، وهو ما نعتبره إشارة وإقرار ضمني بضلوع الأمير عبد القادر في الأمر.

وكان قد علّق (بول أزان) على ذلك الفرار قائلا: ماذا كان عسانا أن نفعل في ذلك الوقت لمنع فرار الجند؟"، وحاول إيجاد تبريرات لتلك الإهانة حيث اعتبر أن الضباط الفرنسيين القادمين إلى الجزائر حديثا لم تكن لديهم دراية بالأرض الافريقية ولا بسكانها، علاوة على محدودية التحفيزات المخصصة لهم في المستعمرة، عكس ما كان موجودا في فرنسا ذاتها(Colonel Paul Azan, 1923, p.5).

وردّا على التبرير الذي تفضّل به (بول أزان) أقول بأن المسألة لم تقتصر على تلك الفترة فحسب (بداية الاحتلال) بل نجد تكرارا لذلك مع نهاية الاحتلال أيضا (أثناء الثورة) كما قد سبق، وهو ما يعني أنّ الأمر كان يتعدّى السلطات الاستعمارية والضابط أو الجندي الفرنسي ليدخل في سياق آخر مختلف يتعلّق بطبيعة الإنسان الجزائري ذاته؛

في التأقلم مع مختلف الوضعيات والمستجدّات، حيث أن القيادات الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية بداية بالأمير عبد القادر وصولا إلى كريم بلقاسم (أنظر التعليق رقم 3) وغيره كانت لهم استراتيجيات عسكرية متشابهة في الأساليب والخطط والمقاصد.

2.1 اختلال التوازن والخطّة البديلة:

احتوت الوثيقة التي علّق عليها العقيد بول أزان والمشار إليها سابقا اعلى معطيات أخرى ذات صلة بالقدرات العسكرية للأمير عبد القادر من خلال إشارته للبعض من خططه واستراتيجيته، حيث يقول: "إن الأمير عبد القادر استعمل المقدّرات الحسيّة والذهنية باستمرار في حربه ضدّنا؛ وهذه الطريقة اتبعها في افشال 60.000جندي فرنسي طيلة أربع سنوات"(Colonel Paul Azan, 1923, p.6).

ثم يتوجّه صاحب النّص الأصلي (المجهول) إلى الحديث عن "عبقرية الأمير عبد القادر القويّة التي أوجدت الانضباط داخل الفوضى؛ حيث تمكن من تشكيل قوات عسكرية نظامية ومنظمة استعملها في البداية لمجابهة الفرنسيين، لكن بعد احتلال مدنه وتراجع حلفائه في الدّاخل والخارج ... وتزايد عدد الجيوش الفرنسية بشكل كبير، يقول صاحب الوثيقة تأقلم الأمير مع الوضع الجديد، من خلال تعويله على دفع الفرنسيين إلى الضجر والملل؛ وذلك عبر منع العرب من أي تواصل أو اتصال بالمراكز العسكرية الفرنسية؛ وبات الشّغل الشّاغل لقواته النظامية منذ هذه الفترة هو منع ذلك التواصل، وكل خرق لهذا التوجّه كان يعاقب صاحبه عقابا صارما".

هذا النظام أو التوجّه الجديد كان يهدف إلى عرقلة الامدادات والتموين وجعلها مكلّفة للغاية في المناطق الداخلية من البلاد وذلك لدفع القوات الفرنسية إلى الضجر وبالتالي التراجع إلى بعض النقاط على الساحل، وبعد أن يتحقّق ذلك يجهّز الأمير إمكانيات جديدة لطرد الفرنسيين

نهائيا من تلك النقاط وتحرير الجزائر من الفرنسيين. إلا أن الاستيلاء على معسكر أفشل ذلك المشروع(Colonel Paul Azan, 1923, p.6).

ولكن، رغم ذلك استمر الأمير بعد لجوئه إلى جبال الونشريس المنيعة في ذات الاستراتيجية والخطة، بحيث كان ينقضُّ على القبائل المستسلمة أو المتعاونة مع المحتل كالانهيار الثلجي (بغتة). ليس ذلك فحسب بل كان يدفعهم إلى الابتعاد عن أراضيهم؛ فلا يحرثونها ولا يحصدون ما بها من غلّة؛ وذلك بهدف دفع السلطات الاستعمارية إلى التكفّل بهم ما دامت قد استسلمت لهم (أنظر التعليق رقم 4)، وهو الأمر الذي سيشكّل بالنسبة للفرنسيين عبئا ثقيلا(Colonel Paul Azan, 1923, p.7). يدخل هذا في سياق الاستراتيجية الكبرى القائمة على دفع المستعمر على الضجر والملل والانسحاب إلى الساحل، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

ويضيف الكاتب، هذه الاستراتيجية استمرت حتى بعد "معركة إيسلي" التي حوّلت المغرب من حليف للأمير إلى عدوّ يطلب رأسه. واستمر همّه الأساس هو استغلال خفّة وعدم ثبات شخصية بعض العرب في تلك الظروف من أجل دفعهم إلى الاشمئزاز من الفرنسين ودفع الفرنسيين إلى الاشمئزاز منهم. إلى أن يقول: "كلّما زاد عبد القادر ثباتا ومثابرة في هذا الاتجاه، كلما دفعنا إلى القيام بمثل ذلك في الاتجاه المعاكس".

إنّ هذه الخطّة الشاملة والمتكاملة التي وضع أسسها الأمير عبد القادر، ولاحظها من عاصروه ومن تأثّروا بنتائجها من العسكريين، كانت تحمل في طيّاتها بالإضافة إلى الحرب المسلّحة حروبا أخرى كالنفسية والاقتصادية وغيرهما.

ولا يخرج عن هذا السياق ما كتبه (الرّائد بيشون نقلا عن أزان) عن الأمير عبد القادر، لكن في وقت متأخر بعض الشيء، حيث قال: " بعد سنوات من الحرب، قد يتساءل المرء من الذي يسترعي الاعجاب

أكثر، هل هم جنودنا الجريئين الذين لا يملّون، أم ذلك الرجل الذي لم تتعدّ قواته 2000 من الفرسان و10 آلاف من المشاة، والذي وقف أمام جيش من 106000 رجل، يتسلّل بين قواتنا، ويضرب القبائل من خلفنا وعلى جوانبنا، وكان يهرب منآ في اللحظة التي كان يبدو لنا فيها أنه في متناول اليد، وكان يُضعف قواتنا من خلال المناوشات المستمرة، عبر تكتيكه الثابت سعيا للقضاء عليها بالإرهاق والسّلاح"(Colonel Paul Azan, 1923, p.8).

2 . تفاقم اختلال التوازن والمناورات الفرنسية:

ظلّ الأمير يواجه المستعمر على كل الجبهات وفي كل الجهات التي تطالها فرسانه رغم المتغيّرات الكثيرة التي فُرضت عليه منذ 1844، حيث تحطّم تنظيمه العسكري والسياسي وقوّض سلطانه على القبائل بعد احتلال مُدنه، وحُرم من كل مورد مالي منتظم، علاوة على مطاردته داخل حدود البلاد وخارجها(Commandant J. Pichon,s.d, p.120.) فكيف تصرّف الأمير في هذه الظروف، وما هي المخارج التي أوجدها لنفسه ونحن على بعد سنة من انهاء المقاومة؟

بالاعتماد على بعض الوثائق، يتّضح بأنّ الوضع كان أكثر تأزّما، لأن الضباط الفرنسيين أحجموا عن التواصل مع الأمير في مسائل تتعلّق بالأسرى بالخصوص. وتكشف ذلك رسالة بعث بها الحاكم العام بيجو(Bugeaud)إلى الماريشال سولت(Soult) وزير الحرب ذات صلة بمسألة الأسرى وغيرها ممّا يتعلّق بالأمير، وفي مقدّمة ما ورد فيها استراتيجيات وتصوّرات أخرى له تتناسب مع الوضع الجديد المفروض عليه.

لكن قبل ذلك لنتعرّف على من هم هؤلاء الأسرى الذين كانوا سببا في جملة من المراسلات والتطورات وفرصة بالنسبة للأمير يجب استثمارها لمواصلة المقاومة والدّفاع عن الوطن؟

ذكر إسماعيل العربي بأنّهم من أسرى معركة سيدي إبراهيم التي جرت بتاريخ 27 سبتمبر 1845 (إسماعيل العربي، 1982، ص. 288)، ثم لحق بهم عدد آخر من عين تموشنت، كان عددهم نحو 200، كما ورد في رسالة الأمير عبد القادر إلى أحمد بوضربة كما سيأتي. كانت تلك المجموعة من الأسرى تتكوّن من ثلاثة ضباط وعشرة صف ضباط، وعشرون عريفا، و171 جنديا،كانوا تحت قيادة الرائد دو كونورد(de Cognord)باعتباره أعلى الضباط رتبة، وهو من كان يتواصل مع القادة الفرنسيين في وهران والجزائر باسمهم (إسماعيل العربي، 1982، ص. 298-299).

أثمر التفاوض الذي كان بين الرّائد الأسير (دو كونورد) بتوجيهات من الأمير، وبين السلطات الاستعمارية إلى التوصّل إلى اتفاق يقضي بإطلاق سراح هؤلاء الأسرى المائتين (200) مقابل مبلغ مالي يسلّم للأمير. وتكشف الوثائق ذات الصلة بهذه العملية سوء نيّة السّلطات الاستعمارية في الجزائر وعلى رأسها الحاكم العام (بيجو) بعلم من وزير الحرب الجنرال (سولت).

أراد الأمير عبد القادر من خلال قبوله إطلاق سراح هؤلاء الأسرى، هذه المرّة، إلى تحقيق جملة من الأهداف سترد في رسالة بيجو إلى وزير الحرب، حيث بعث الأمير رسولا له معهم يحمل ثلاث رسائل أحداها للملك لويس فيليب، والثانية لوزير الحرب، أما الثالثة فكانت لأحمد بوضربة.

ماذا كان موقف بيجو من الأمير عبد القادر خلال هذه الفترة، وكيف نظر إلى تلك الرّسائل الأميرية؟

ورد موقف الحاكم العام في رسالته إلى وزير الحرب الفرنسي (سولت) بتاريخ 6 ديسمبر 1846 على الشكل التالي:

"إنّ الأمير عبد القادر من خلال مفاوضاته مع العقيد دو كونورد بشأن الأسرى الفرنسيين، لم يكن يهدف إلى الحصول على (الفدية) أو بعض

المال، الذي كان في أمسّ الحاجة اليه في تلك الظروف، وإنّما كان يهدف أيضا إلى بناء علاقات خارجية (خارج نطاق جنرالات فرنسا في الجزائر) وذلك مع الحكومة الفرنسية من أجل بلوغ مقصد آخر هو الحصول على السّلم الذي كان في حاجة ماسة إليه أيضا، لأنه يوفّر له مجموعة من الامتيازات.

ويضيف بيجو: " لقد قمت بتلك المحاولة لأنّني رفضت فتح اتصالات معه"!(إسماعيل العربي، 1982، ص. 299).

لم يكن الأمير عبد القادر يرغب في التواصل فقط مع الجنرالات الفرنسيين الذين كانوا في الجزائر، بل كان يرغب في مخاطبة الملك ووزير الحرب مباشرة، ولذلك قام بإرفاق (عبد القادر بن هاشمي) مع الأسرى الفرنسيين حاملا لتلك الرسائل الثلاث.

كان ردّ بيجو على قادة بن هاشمي (كذا) كما يلي (أنظر التعليق رقم 5): "إذا كان لسيّدك ما يقول، فما عليه سوى التقدّم إليّ مباشرة؛ لأنني أنا من يمثل الملك هنا". "لقد قلت بأنّه يريد السّلام، هذا أمر يسير، فما عليه سوى التوجّه للإقامة في أيّ مكان. فهو من يحاربنا وليس علينا الذّهاب لاستقدامه من حيث هو، كما لا يمكنه بلوغ السّلام عبر عقد معاهدة ...، وهناك طريقتين فقط تنتهي بإحداها هذه الوضعية:

- استرجاع مملكته عن طريق القوّة؛
- تسليم نفسه، وجعل مصيره بين أيدي الملك.

وإذا اختار الحلّ الثاني، أضمن له المعاملة الحسنة، وأن أكون أنا (بيجو) محامية الشّخصي"، وأضاف: " ردّد هذه الكلمات على سيّدك"(Bugeaud au ministre de la guerre Soult, 1846). وهو ما يعني أنّ بيجو رفض اصطحاب رسول الأمير إلى فرنسا لتسليم تلك الرّسائل، والتفاوض مع الملك كما سيرد في رسالة الأمير إلى (لويس فيليب).

وصف (بيجو) موقف "قادة بن هاشمي" بعد سماعه لما ورد في رسالته إلى وزير الحرب الماريشال سولت حيث قال:

" حينما سمع قادة بن هاشمي الاقتراح الأوّل قال: " أعتقد بأنّه من المستحيل على الأمير استرجاع مملكته بقوّة السّلاح، أمّا فيما يتعلّق بالاقتراح الثاني (تسليم نفسه)، فإنّه لن يقبل بذلك أبدا".

ثم اقترح قادة بن هاشمي على بيجو أن يُدوّن ما اقترحته في كتاب يُرسل إلى الأمير، إلاّ أن (بيجو) أشار إلى أنّه رفض ذلك، وقال بأنّ الأمير سيستعمل، دونما شك، ذلك الكتاب من خلال عرضه على العرب على أنّ بيجو هو من يطلب السّلام.

أضاف (بيجو) ل(قادة) قائلا: قل لسيّدك بأنّه لو أطلق سراح الأسرى بدون فدية لكنت قد سلّمته ثلاثة أسرى من قواته عن كل فرنسي، لكنه ما دام فضّل المال وقام بقتل الآخرين، فلن أسلّمه شيئا".

ويضيف (بيجو) مخاطبا وزير الحرب هذه المرّة: "أعتقد سيّدي الوزير بأنّ حكومة الملك لن تعارض عدم سماحي للأمير عبد القادر بمواصلة مهمّته مع باريس؛ لأنّ ذلك كان سيعطي له أهمية كبيرة بنظر العرب، وهذا ما لا يمكن السّماح به خاصة بعد أن قام بقتل الأسرى الآخرين. وعوض ذلك سيعلم الجميع بأنّ الأسرى العرب الذين كنّا نودّ استبدالهم بالأسرى الفرنسيين غادروا ميناء مرسى الكبير عائدين إلى فرنسا"(Bugeaud au ministre de la guerre (Soult, 1846.

ورد موقف وزير الحرب على مّا كتبه بيجو في رسالة منه إليه بتاريخ 5 جانفي 1847، ومن بين أهمّ ما تضمنته ما يلي: "أستحسن ملاحظاتك بشأن أهداف عبد القادر، كما أنّك من خلال رفضك الاستجابة لرغباته فإنّك قد أخلطت حسابات السيّد والخادم معا. كما أنّ الجواب الشّفهي كان مناسبا؛ لأنّه يُبعد كل التأويلات التي كانت قد تلي الرسالة المكتوبة".

"إنّه من المُؤكّد، يضيف الوزير، بأنّ عدُوّنا الذّكي كان يسعى من خلال رسالته المباشرة للملك إلى استرجاع هيبته بنظر العرب الذين كانوا يلمسون ويشهدون تراجع قوته وسلطته، كما أنّه سيتأثّر لا محالة بموقف (بنو هاشم) وهم يرون رسوله يرجع من دون أيّة تسوية لصالحه "(ministre de la guerre Soult à Bugeaud, 1847).

يتّضح جليّا مما سبق بأن الأمير عبد القادر كان شديد الذّكاء، وذا قدرة رهيبة على التأقلم مع المستجدّات؛ فبعد أن تراجعت قواته وتلاشت قواعده الخلفية لجأ إلى أسلوب المناورة السياسية لإيجاد مخارج مشرّفة له ولبلاده، وهو ما ينمّ عن حكمة وحنكة ورجاحة عقل رغم وجوده في تلك الظروف الصّعبة. كما أنّ ما تضمنته رسالة بيجو إلى وزير الحرب الفرنسي تزيل الغموض واللُّبس بشأن اتفاقية أو معاهدة استسلام الأمير؛ لأنّ بيجو أشار إلى أنّ ذلك لن يكون، وهو ما يعني أنّ اتفاقية الاستسلام غير موجودة أصلا في شكلها الورقي، وهذه نقطة إيجابية أخرى لصالح الأمير الذي كان مصدر خوف وخشية بالنسبة للفرنسيين حتّى وهو بين أيديهم.

3 . الأمير يكشف الحقائق:

إن التأريخ يسترعي البحث والتنقيب دون كلل او ملل، لكي نستوفي ما أمكن معظم حيثيات الحادثة التاريخية، ولذلك فباكتفائنا برسالة بيجو فقط نكون قد ظلمنا الأمير ظلما كبيرا.

بالرّجوع إلى الرّسالة التي كتبها الأمير عبد القادر إلى الملك الفرنسي (لويس فيليب) والتي كانت ضمن الرسائل الثلاث المشار إليها آنفا، تبرز الحقائق وتنجلي المظالم وذلك دونما الحاجة إلى تكرار ما أورده إسماعيل العربي، وناصر الدين سعيدوني وبول أزان بشأنها، بل نكتفي فحسب بغير المنشور منها.

تضمنت الرسالة (النسخة المترجمة إلى الفرنسية اثنتي عشرة صفحة) فكر الأمير وفلسفته وانسانيته وأخلاقه وقيّمه السّامية؛ فبعد البسملة

والتحية بدأ الأمير بالقول: " إنّ الأيام في تغيُّر، كما أنّ حظوظ النّصر في الحرب أيضا تختلف وتتباين، وكلّ ظرف يسترعي مقالا معيّنا، كما أنّ اتساع الفضاء ضروري لأولئك الذين يريدون المُضيّ قدما، وكل إنسان له قدره الخاص (المكتوب)، كما أنّ لكل مجتهد فرصة في النجاح"...(l'Emir Abdelkader au Roi Louis Philippe,1846).

ومن يعرف بأنّ نصف جيوش فرنسا كانت موجّهة لمواجهة الأمير، وهي سابقة في التّاريخ الفرنسي على حد تعبير ايف لاكوست وآخرون، (العربي بلعزوز، 2016، ص. 277-301) كما أنّ المّطّلع على ما تعرّض له الأمير من خيانة (سماهم الأمير في رسالته بأصحاب الأفكار الغادرة) والتي لا أجد داعيا لإعادة إحصائها، يُدرك ما كان يقصده الأمير بتلك الكلمات العميقة والحكيمة والمعبّرة.

أشار الأمير في رسالته بأنّه سلّم خلال فترات سابقة أكثر من مائة أسير لفرنسا دون مقابل، ويضيف بأنّه راسل أكثر من ثلاث مرّات كل من (بيجو) ولامورسيار(Lamorcière) بشأن الأسرى إلاّ أنه لم يتلقّ أي رد منهما. ويضيف بأنّ معطيات وردت إليه تفيد بأن الفرنسيين ينوون استرجاع الأسرى بالقوّة، أو بالاستعانة بسلطان فاس (المغرب).

كما أشار الأمير إلى أنّه كان ينوي إطلاق سراح هؤلاء الأسرى بوساطة من الملك الاسباني الذي كانت تجمعه بالملك الفرنسي علاقات طيبة منذ أمد.

ويضيف الأمير، بأن الضابط الأسير (الرائد دو كونورد) بعد أن لاحظ ذلك الامتناع والقطيعة المقصودة من القادة الفرنسيين، هو من عرض عليّ مراسلة الملك، وقال بأنّه سيتكفّل هو بتسليم الرسالة الى الملك من اليد إلى اليد. وأضاف بأنّ الملك سيردُّ عليكم لأنّه يعرف جيّدا ما يجري في الجزائر.

‘‘وقد اخترت لهذه المهمة شابا مخلصا ومتميزا وذكيا للتفاوض معكم (الملك) هو الأغا عبد القادر بن الهاشمي".

وممّا أشار إليه الأمير في رسالته إلى الملك الفرنسي أيضا هو أنّ أعوانه في الجزائر لا هم لهم سوى جرّ البلاد والعباد إلى الإفلاس عبر اشتراط الأموال على السكّان(l’Emir Abdelkader au Roi Louis Philippe,1846).

يتّضح من الرّسالة أن بيجو لم يكن يهمّه إلاّ ما سيناله من مناصب وتشريفات ولذلك كان حاقدا في كتاباته، بعلم ودراية أكيدة من الحكومة الفرنسية ممثّلة في وزير الحرب وربّما غيرُه. لأنّ الأمير لم يكن يتاجر بالأسرى كما قد يُفهم من رسالة بيجو، بدليل أنّه أشار إلى قيامه بإطلاق سراح أسرى فرنسيين قبل ذلك وبدون مقابل، أمّا ما يخصّ الأسرى الجزائريين الذين كانوا في فرنسا وأرجعهم بيجو، قد يُفهم منها أيضا بأنّ الأمير تنازل عنهم أو أنّه كان في غنى عنهم؛ لأننا بالرّجوع إلى نصّ رسالة الأمير نقرأ بشكل واضح ما يلي: "خلال السنة الماضية، وأثناء حملة عسكرية لنا في الشرقشاءت الأقدار أنّه بعد سلسلة من المعارك تمكنّا من أسر مجموعة من الجنود (العساكر)، وكنّا سعداء بتلك الظروف لأنّها ستسمح لنا باستبدالهم" (ص 4 من الرسالة).

ثم أضاف في الصفحة السادسة (6): " لم نتمكّن السنة الماضية من التباحث في قضية الأسرى المسلمين لديكم، لأنّه لم يكن بمقدورنا تقديم أيّ اقتراح يمكنه تعويضكم ... وكنّا قد حرّرنا خلال السنوات الماضية أكثر من مائة (100) أسير بدون مقابل ..." وبعد إشارته لامتناع بيجو ولامورسيار عن الردّ على رسائله بشأن الأسرى الفرنسيين وإلى إهانة وأسر رُسله نوّه بلجوئه إلى الملك الاسباني من أجل تسوية تلك المسألة. (l’Emir Abdelkader au Roi Louis Philippe,1846)، وليس هذا بالجديد عن الأمير عبد القادر حيث أنّه باشر اتصالات

سرية مع بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية منذ نهاية سنة 1834 وبداية سنة 1835م عبر تمثيلياتهما القنصلية في المغرب (Raphael Danziger,1974, p-p. 45-63)بحثا عن الدّعم السياسي والعسكري.

إلى أن يصل إلى القول في الصفحة الحادية عشر (11): إذا أردتم تعويضنا عن عملنا الصّالح هذا (إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين) فسيكون ذلك "عبر إطلاق سراح أسرانا كبيرا وصغيرا ممّن يتواجد أولياؤهم بيننا..."

وليس أدلّ على بطلان ما ادّعاه (بيجو) في رسالته لوزيره ممّا جاء في مراسلة الأمير عبد القادر، الوفيّ لمبادئه السّامية والمخلص لأبناء وطنه، إلى الملك الفرنسي.

أمّا ما تعلّق بالأسرى الفرنسيين الذين تمّ قتلهم والذي أشار إليهم بيجو في رسالته إلى (سولت) والذي قال بأنّ الأمير هو من أمر بقتلهم، فإنّه ثبت تاريخيا بأنّ الأمير بريء من دمهم كبراءة الذئب من دم يوسفوهو ما تضمّنته الكتابات الفرنسية العسكرية وفي مقدّمتها كتاب (بول أزان) عن الأمير عبد القادر والصّادر سنة 1925 لأن الأمير كان في تلك الفترة في جبال جرجرة (أنظر التعليق رقم 6).

ولعلّ ما يُلفت الانتباه هنا، هو أن الأمير كتب فعلا في رسالته إلى لويس فيليب بأنّه هو من أمر بقتلهم بعد رفض التواصل معه وسجن وإهانة رُسله، علاوة على رواج تلك الأخبار التي كانت تفيد بأنّ الفرنسيين يريدون استرجاع أسراهم بالقوّة أو عن طريق السلطان المغربي ... ورغم علمه بأنّ من أمر بذلك هو مصطفى بن التهامي، إلاّ أنّ الأمير لم يّرد الإفصاح على أنّ هناك من خلفائه من لم يمتثل لأوامره أولم يعمل بما أوصاه به بشأن هؤلاء الأسرى، أو أنّ هناك سوء تفاهم داخل قيادته وهو مقبل على التفاوض معه عبر مبعوثه عبد القادر بن الهاشمي، وهذا موضوع يسترعي أكثر من كتاب.

ولا أرى أي تناقض في المسألة بين ما كتبه الأمير للملك وبين ما وقع فعلا لأنّ رسالة الأمير كتبت بتاريخ الأول من ذي الحجة سنة 1262 للهجرة الموافق ل 2 نوفمبر 1846، في حين أن الرسالة المرسلة إلى أحمد بوضربة كتب عليها كما هو موضّح في الملاحق شهر ذو الحجّة فقط، وهو ما يجعلنا نعتقد بأنّ الأمير كتبها بعد أيام من تلك الموجّهة للملك، أم هي مناورة سياسية وديبلوماسية من الأمير لتضليل العدوّ ...؟ أمّا إذا ثبُت عدم مطابقة رسائل الأمير المترجمة للرسائل الأصلية (بالخط العربي)، فذاك أمر في غاية الخطورة ويدفعنا دفعا كمؤرخين وكباحثين إلى الشكّ في كل الأرشيف الفرنسي المتعلّق بتاريخ الجزائر خلال الفترة الاستعمارية!

4 . مواقف خالدة للأمير:

لعلّ السؤال الذي يبقى مطروحا هو لماذا خصّ الأمير عبد القادر أحمد بوضربة برسالة خاصة، ولماذا في تلك الظروف بالذّات؟

كان (أحمد بوضربة) يقيم بمدينة مرسيليا الفرنسية، كما كان يراسل السلطات الفرنسية باستمرار للسّماح له بالسّفر إلى المشرق العربي بغرض الاستقرار بعد أن مُنع من العودة إلى الجزائر منذ أمد (العربي بلعزوز، 2017، ص. 105).

ورد في الرسالة بعد التحية، شكر الأمير عبد القادر لبوضربة على الخدمة التي أسداها له؛ لأنّه ساهم في التوسّط لدى السلطات الاستعمارية في فرنسا لكي تتمّ تسوية مسألة الأسرى الفرنسيين، وورد في ذات الرسالة بأنّ عدد هؤلاء الأسرى بلغ 200 كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وهو يعني أن الأمير عبد القادر كان في كل الظروف يجد المخارج والحلول للوضعيات المحرجة التي كان ضباط فرنسا في الجزائر يقحمونه فيها.

وأضاف الأمير: "إنّي أبعث لكم بابني المحب (كذا) الأغا عبد القادر بن الهاشمي مع العقيد" بغرض التفاوض مع الملك حسبما ورد في الرسالة الأولى إلى لويس فيليب، وطلب الأمير من بوضربة أن يكون له دعما وسندا في كل الظروف، كما ذكّره بالمبلغ الواجب نظير إطلاق سراح هؤلاء الأسرى (L'EmirAbdelkader à Si Ahmed Bouderba, 1846).

يتّضح جليّا من خلال هذه الرّسالة الموجّهة إلى أحد أبناء الجزائر المقيمين بالخارج بأنّ الأمير بقي على تواصل، ما أمكنه ذلك، معهم علّهم يقدمون له خدمة تصبّ في مصلحة الوطن، مع العلم أنّ بوضربة (أبو إسماعيل) كان ممنوعا من التوجّه إلى الجزائر كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

يتبيّن من رسالة بيجو إلى وزير الحرب الفرنسي بأنّ المسار الذي اتخذته الأحداث فيما بعد بالرجوع إلى ما تناقلته الكثير من الكتابات لم يكن ذلك الذي نشده وأراده الأمير، وهو ما يعني أن مقاومة الأمير لم تعد كسابق عهدها بل انحصرت كثيرا تبعا لانحصار الموارد والجغرافية (الأراضي التابعة له) وكذا الولاءات بسبب القمع والبطش الفرنسيين، وبات الأمير عبد القادر في وضع حرج فيما يتعلّق بالجانب العسكري، أمّا المخارج التي جرّبها الأمير خلال هذه الفترة سواء في بلاد القبائل أو متيجة أو التيطري وحتّى في المغرب فكانت كثيرة وشجاعة، لكنّ ما عساه يفعل أمام جيش محتل فاق تعداده المائة ألف عسكري؟

ما يستحقّ التنويه هو أنّ الأمير رغم ما أحلّ به من نكبات على أكثر من صعيد إلاّ أن معدنه الأصيل ومواقفه الرّاقية والفريدة لم تتغيّر قيد أنملة؛ فها هو الرّائد بيشون يذكر البعض منها وفي مقدّمتها رفضه تسلّم العرش المغربي بعد تذمّر الشّعب من السلطان هناك إثر ابرامه لاتفاقية طنجة مع فرنسا، وكان يكفي أن يتفوّه بكلمة فقط لينال ذلك من

الشعب المغربي، ويوعز ذلك الرّفض إلى اعتبارات دينية وأخلاقية ونحو ذلك(Commandant J. Pichon,s.d, p. 115).

كما يذكر ذات المصدر مواقف خالدة للأمير وقعت خلال عملية "التّسليم" التّي نسمّيها نحن بإنهاء المقاومة بشكل رسمي والذي كان في (23 ديسمبر 1847) تضمنتها تصريحات له، وممّا قاله وهو يتقدّم للسلطات الفرنسية:

" كان باستطاعتي الذهاب رفقة بعض المخلصين من الرّجال إلى الصحراء ومواصلة المقاومة من هناك، وكان باستطاعتي أيضا الذهاب على فرسي إلى مكّة، لكن إلى أي مآل كان سينتهي مصير النّسوة (من بينهنّ والدته) والأطفال والخدم المخلصين، وأيّ مصير كان سيعرفه هؤلاء الشّيوخ والجرحى الذين يرافقونني؟" (CommandantJ. Pichon,s.d, p. 129).

"لقد أقسمت على أن أدافع عن بلادي وديني حتّى لا تبقى هناك أيّة قوّة بشرية كافية، ويبدو لي دائما بأنّني لم أقم بما يكفي من أجل ذلك" (32).

يتبيّن مما سبق لكل قارئ منصف بأنّ الأمير عبد القادر سلك كل السُبل الممكنة وجرّب كل الاستراتيجيات التي قد يتوصّل إليها قائد في مثل مستوى الأمير، مسخرا نفسه إلى أقصى درجات ما يمكن أن يتحمّله آدمي (الانسان) في الدّفاع عن الجزائر. ولعلّ انهاء المقاومة كانت آخر مناورة قام بها الأمير خدمة للجزائر؛ طمعا في جمع الشّمل وشحذ الهمم والعودة من جديد إلى البلاد لمقارعة المحتل لإخراجه من البلاد، ولعلّ امتناع السلطات الاستعمارية عن السّماح له بالذّهاب إلى عكّة أو الإسكندرية يعلّل ذلك، لكن ما يؤكّده بما لا يترك أيّ مجال للشكّ هو الشرط الذي أقرنه الملك الفرنسي (نابليون الثالث) للأمير عبد القادر نظير إطلاق سراحه سنة 1852، وتعلّق الأمر بتعهُّد الأمير بعدم الرجوع إلى أرض الجزاير(كذا) (العربي بلعزوز، 2017، ص.

107)، وهو الشّرط الذي قبل به الأمير حسبما ورد في رسالته إلى الامبراطور. وحتى هذا القبول قد يكون مناورة أخرى من مناورات الأمير لتقديم خدمة ما للوطن بعد أن يغادر فرنسا.

كما يجب التنويه أيضا بأنّ الاستراتيجيات العسكرية والمناورات السياسية والدّروس الإنسانية التي طبّقها الأمير، كانت دروسا للمحتل أولاّ، ثم لكل من يدور في فلكه، وثالثا وهو الأهم كان يقدّم دروسا بعيدة المدى والتأثير لكل الجزائريين، في زمن لاحق، مبيّنا لهم بأنّ المحتل قابل لأن يقهر ويُهزم بشرط الإخلاص للوطن وتسخير النّفس والنّفيس في سبيل ذلك.

5 . الخاتمة:

لقد قاوم الأمير عبد القادر المحتل بإمكانيات محدودة، مقارنة بما كان يمتلكه الغزاة، وذلك طيلة سبع عشرة سنة. وقد يبدو من النّاحية المنطقية بأنّ ذلك غير ممكن في الحالات العادية، لكن الأمير عبد القادر لم يكن انسانا عاديا، بل كان بشخصيته المخلصة للوطن انسانا وقائدا فوق العادة والمعهود. فعلاوة على جمعه لشتى تقنيات القتال والمعارك، كان ديبلوماسيا محنّكا ملمّا بطبيعة وتطبّع المعتدي، وحكيما ولبيبا دافع عن الجزائر حتى آخر رمق، كما حافظ على كرامتها وكرامة أبنائها حتّى في أشقّ الظروف وذلك عبر مواقف وطنية وإنسانية فريدة من نوعها.

ولذلك، فأنا لا أستبعد تعلّم المدرسة العسكرية الفرنسية بشكل عام الكثير من الأمير عبد القادر الجزائري بعد محاربته والاحتكاك به والتعايش معه لسنوات عديدة، وما ذلك الانبهار بعبقريته وبكفاءاته المختلفة والمتعدّدة إلاّ دليل على ذلك.

كما أنّ أبطال الثورة التحريرية، وهم في نفس سن الأمير تقريبا، كانوا أبطالا وكأنّ الأمير عبد القادر بينهم أو تجسّد فيهم؛ فالمقاربة العسكرية هي ذاتها، والتعامل مع المستعمر البغيض هو نفسه رغم أنّ الفارق

الزمني بين هؤلاء والأمير عبد القادر فاق المائة سنة، خاصة إذا علمنا بأنّهم لم يدرسوا عنه بالتأكيد في تلك المدارس الاستعمارية، كما أن الكتابات الاستعمارية عنه لم تكن في متناولهم بكل تأكيد.

قد يُخرجنا هذا عن التّاريخ بعض الشيء، لكن تجب الإشارة هنا إلى طبيعة الفرد الجزائري (الوطني المخلص)، الذي تتفتّق فيه العبقرية والتميّز كلّما توفّر لديه الوعي والإدراك بضرورة ذلك، لينهض مدافعا عن الحمى ورادا للعدى وذائدا عن الوطن بكل ثبات وإخلاص وتميُّز.

هذا ما يعني أن الجزائري الوطني المخلص حاضر في كل عصر وآن وثابت ومتميّز في خططه واصراره، وأن ذلك لا ينضب من الجزائر أبدا مهما تباينت الأزمنة ومهما اختلفت مشارب المناهج التعليمية والمعرفية ومقاصدها، ومهما تعدّدت المؤامرات والدّسائس والمكائد.

على ألا يبعث هذا الكلام على الكسل والتهاون والتقاعس ... ولنتذكّر دائما بأنّ الأمير قاوم المحتلّ إلى أقصى درجات ما يمكن لآدمي تحمّله صرامة وعزما وديبلوماسية وقيّما إنسانية سامية وراقية، والأمر ذاته نلمسه خلال الثورة التحريرية المباركة، ولا أقصد بذلك أنّها كانت نسخة مطابقة لمقاومة الأمير؛ لأن ذلك فيه نفي وابعاد لكل تأثير للمستجدّات والتطورات المختلفة، وفي ذات الوقت هو استخفاف واستهتار بكل فرد جزائري يقظ ومثابر ومخلص، لكن روح الأمير لم تكن بمنأى عنهم، وهكذا ... !

المراجع:

. العربيإسماعيل، (1982)، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ط1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

. بلعزوز العربي، (2016) "التوغّل الاستعماري في منطقة حوض الشلف الأوسط وموقف سكان المنطقة منه (1846-1842)"، مجلة عصور الجديدة، مختبر تاريخ الجزائر بجامعة وهران 1(أحمد بن بلة)، المجلد 6، العدد 25، 2016. ص ص. 277-301.

. بلعزوز العربي، (2017)، الهجرات الأوربية إلى الجزائر (تورها وتأثيراتها) من بداية الاحتلال إلى غاية الثورة التحريرية، ط1، سار بروكن، دار نور للنشر.
. سعيدوني ناصر الدين، (2000)، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، ط1، الكويت، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.
- DanzigerRaphaël, (1974), « Abd Al-Qadir's first overtures to the British and the Americans (1835-1836) », Revue des mondesmusulmans et de la Méditerranée , REMMM, 18 / pp. 45-63.
- AZAN Paul. Colonel, Un document de 1845 surl'arméeindigène, ImprimerieTypographique et Lithographique, L. Fouque, Oran, 1923. SHD, Château de Vincennes, GR 1H 225.
- Extrait de deux lettres, l'une envoyé par Bugeaud au ministre de la guerre Soultle 6 décembre 1846, et l'autre du ministre de la guerre à Bugeaud le 05/01/1847, Ministère de la guerre, direction du personnel et des opérations militaires. Note pour la direction des affaires de l'Algérie, Paris le 8/01/ 1847. ANOM. F/80/1676.
- L'Emir Abdelkader à Si Ahmed Bouderba, en date du de Hidja 1262, pour traduction conforme à l'original en arabe, Oran le 3 novembre 1846, l'interprète principal attaché à M. le Maréchal Duc d'Isly, signé B. Rousseau. ANOM, F/80/ 1676.
- L'EmirAbdelkader au Roi Louis Philippe, écrite le 1erhidja, pour traductionconforme à l'originalarabe, Oran le 3 décembre 1846, B. Rousseau l'interprète attaché à M. le MaréchalDucd'Isly. ANOM. F/80/1676.
- Pichon.J. Commandant, (s.d), Abdelkader, sajeunesse, son rôlepolitique et religieux, son rôlemilitaire, sa capture et sa mort (1808-1883), Paris, Henri Charles- Lavazelle, EditeurMilitaire.

التعليقات:

1 . من هؤلاء الذين كتبوا عن الأمير عبد القادر نجد: بول أزان، شارل هنري تشرشل، مارسالايميريت، برونو ايتيان، لويك باريار، لويس وارنر، رافائيل دانزيقر، شود كيويكر، إسماعيل العربي، ناصر الدين سعيدوني وغيرهم كثير.

2 . أشار إليها المؤرّخ ناصر الدين سعيدوني إشارة طفيفة في كتابه: عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2000. لكنه لم يتعرّض إلى هذه الزّاوية.

3 . القائد العسكري الذي تمكّن بحنكته وكفاءته من افشال عملية العصفور الأزرق، والاستفادة من تسليح 1200 مجاهد خلال الثورة التحريرية، (ينظر: العربي بلعزوز، ثورة التحرير...).

4 . رغم أن ذلك الجزاء كان ضروريا في تلك الظروف التاريخية، إلاّ أن الأمير عبد القادر استفتى في ذلك أهل العلم الذين أجازوا له ذلك.

5 . ورد في رسالة الأمير إلى الملك باسم (عبد القادر بن الهاشمي)، أمّا في رسالة بيجو إلى وزير الحرب فورد باسم (قادة بن الهاشمي).

6 . لاأرى أي تعارض بين ما كتبه إسماعيل العربي بشأن مصدر هؤلاء الأسرى وبين الأمير عبد القادر؛ لأنّ كلمة شرق هنا تعني شرق المنطقة التي كان فيها الأمير في ذلك الوقت (على الحدود المغربية أو داخلها في أحيان كثيرة). (ينظر: إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص 300-303).

الملاحق:

الملحق 1: غلاف كتيب (العقيد بول أزان) من 12 صفحة والتي تضمنت وثيقة الشخصية المجهولة وبعض تعليقاته عليها. SHD, Château de Vincennes, GR 1H 225

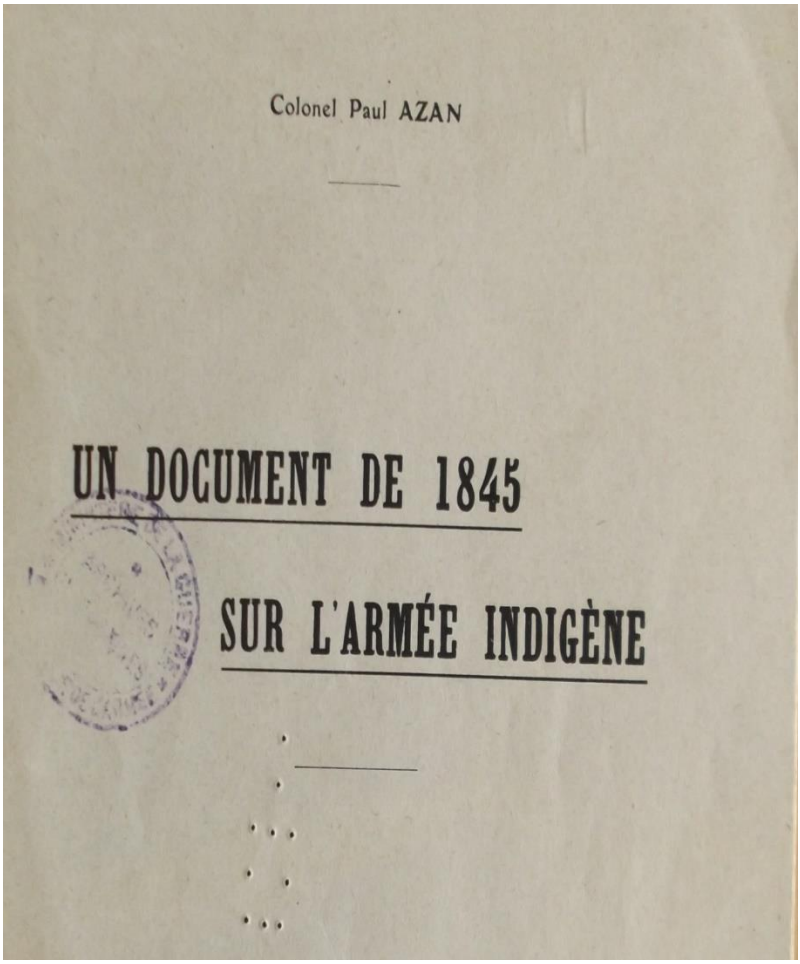
Colonel Paul AZAN

UN DOCUMENT DE 1845

SUR L'ARMÉE INDIGÈNE

الملحق 2: الصفحة الأولى من الرسالة المترجمة التي وجهها الأمير عبد القادر إلى الملك لويس فيليب بتاريخ 1 ذو الحجة 1262 للهجرة.
ANOM. F/80/ 1676

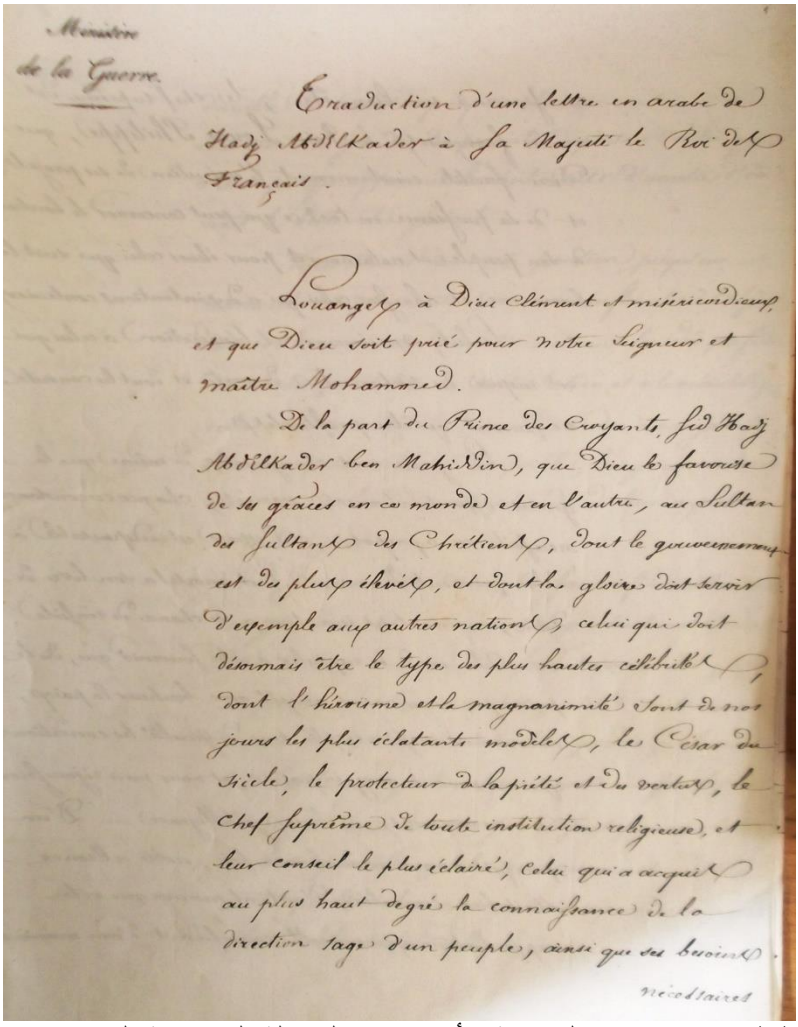

Ministère de la Guerre.

Traduction d'une lettre en arabe de Hadj Abdelkader à Sa Majesté le Roi des Français.

Louange à Dieu Clément et miséricordieux, et que Dieu soit prié pour notre Seigneur et maître Mohammed.

De la part du Prince des Croyants, fils Hadj Abdelkader ben Mahiddin, que Dieu le favorise de ses grâces en ce monde et en l'autre, au Sultan des Sultans des Chrétiens, dont le gouvernement est des plus élevés, et dont la gloire doit servir d'exemple aux autres nations celui qui doit désormais être le type des plus hautes célébrités, dont l'héroïsme et la magnanimité sont de nos jours les plus éclatants modèles, le Czar du siècle, le protecteur de la piété et du mérite, le Chef suprême de toute institution religieuse, et leur conseil le plus éclairé, celui qui a acquis au plus haut degré la connaissance de la direction sage d'un peuple, ainsi que des besoins

Nécessaires

الملحق 2 (تابع): الصفحة الأخيرة من الرسالة المترجمة التي وجهها الأمير عبد القادر ،إلى الملك لويس فيليب بتاريخ 1 ذو الحجة 1262 للهجرة.ANOM. F/80/ 1676

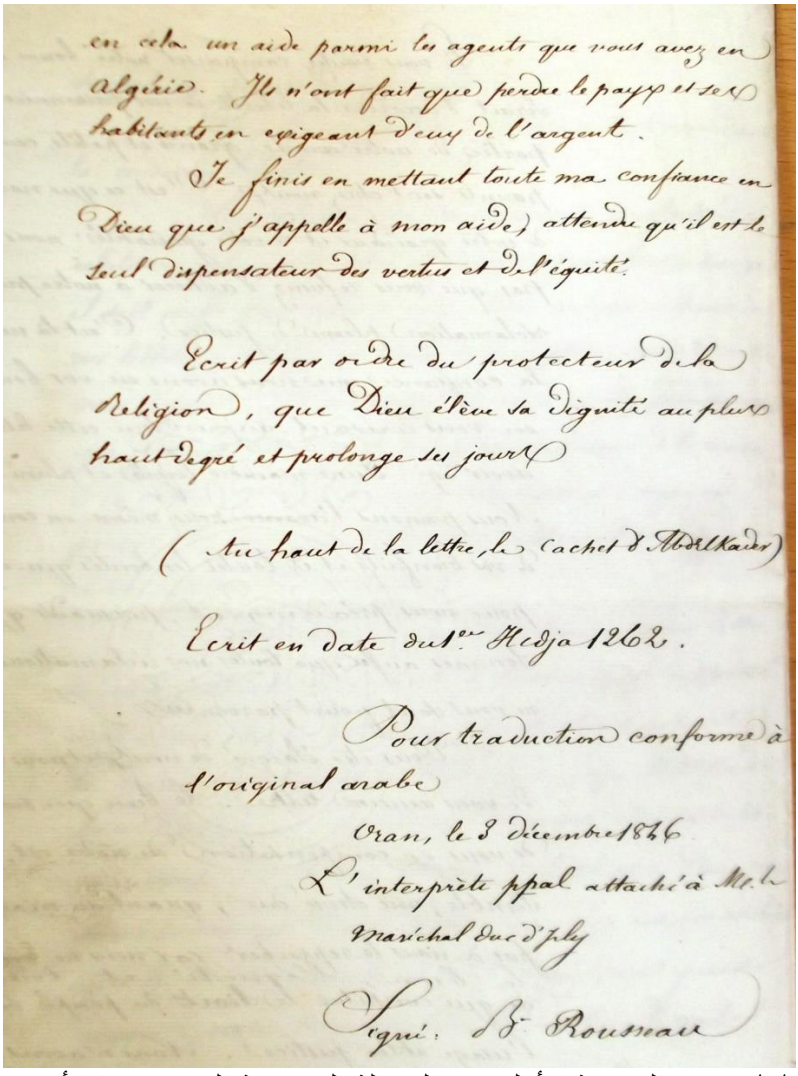

en cela un aide parmi les agents que vous avez en Algérie. Ils n'ont fait que perdre le payys et ses habitants en exigeant d'eux de l'argent.

Je finis en mettant toute ma confiance en Dieu que j'appelle à mon aide, attendu qu'il est le seul dispensateur des vertus et de l'équité.

Ecrit par ordre du protecteur de la Religion, que Dieu élève sa dignité au plus haut degré et prolonge ses jours.

(Au haut de la lettre, le cachet d'Abdelkader)

Ecrit en date du 1er Redja 1262.

Pour traduction conforme à l'original arabe

Oran, le 8 décembre 1846

L'interprète ppal attaché à M. le Maréchal duc d'Isly

Signé: B. Rousseau

الملحق 3: الصفحة الأولى من الرسالة المترجمة التي وجهها الأمير عبد القادر إلى أحمد بوضربة بتاريخ ذو الحجة 1262 للهجرة.ANOM. F/80/ 1676

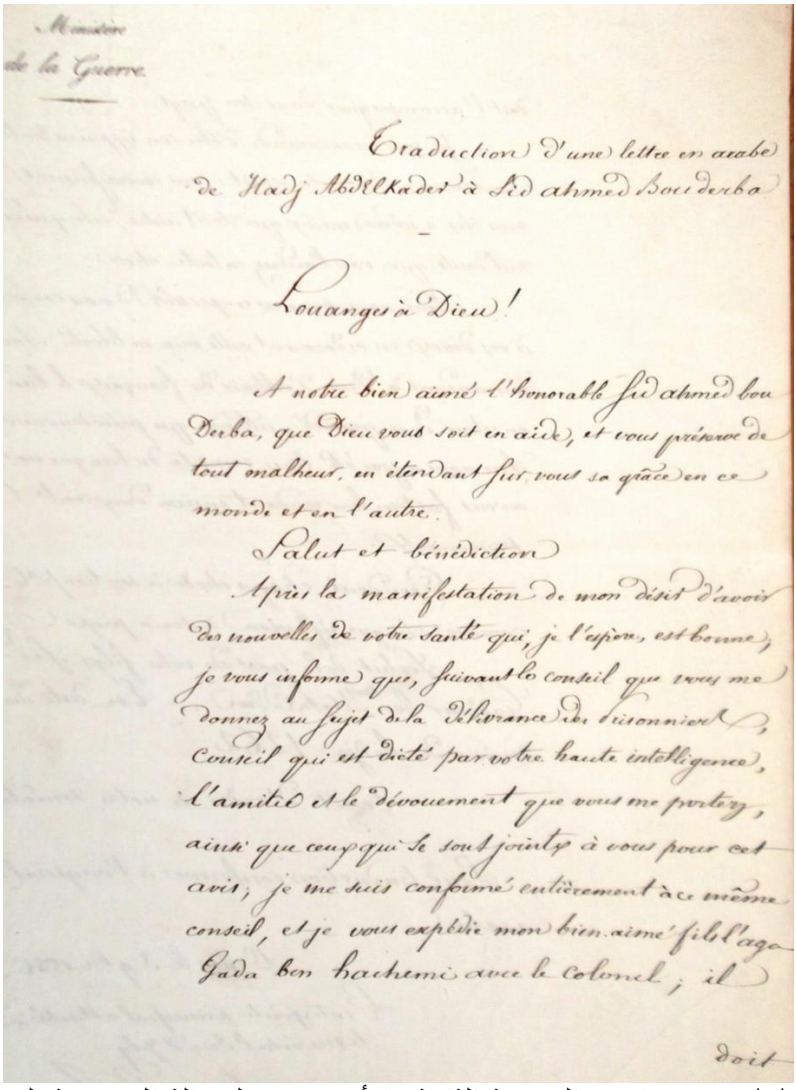

Ministère de la Guerre

(Traduction) D'une lettre en arabe de Hadj Abdelkader à Sid ahmed Bou derba

Louanges à Dieu!

A notre bien aimé l'honorable Sid ahmed bou Derba, que Dieu vous soit en aide, et vous préserve de tout malheur, en étendant sur vous sa grâce en ce monde et en l'autre.

Salut et bénédiction

Après la manifestation de mon désir d'avoir de vos nouvelles de votre santé qui, je l'espère, est bonne, je vous informe que, suivant le conseil que vous me donnez au sujet de la délivrance des prisonniers, conseil qui est dicté par votre haute intelligence, l'amitié et le dévouement que vous me portez, ainsi que ceux qui se sont joints à vous pour cet avis, je me suis conformé entièrement à ce même conseil, et je vous expédie mon bien aimé fils l'agha Jada ben hachemi avec le Colonel; il

doit

الملحق 3 (تابع): الصفحة الثانية والأخيرة من الرسالة المترجمة التي وجهها الأمير عبد القادر إلى أحمد بوضربة بتاريخ ذو الحجة 1262 للهجرة. ANOM. F/80/ 1676

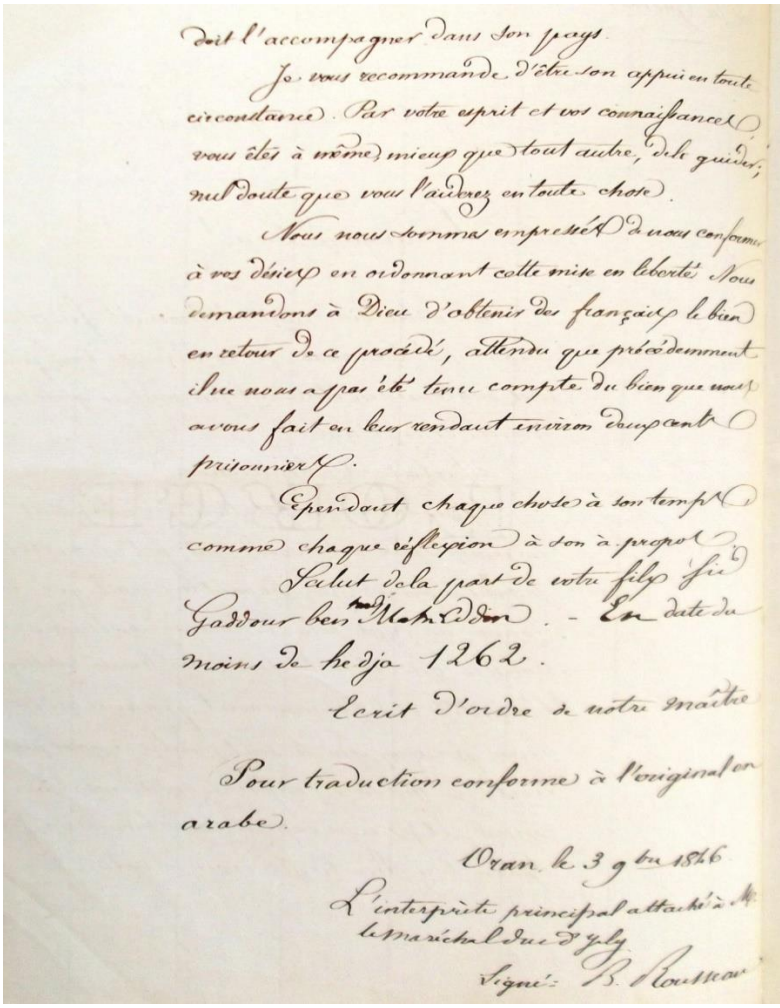

dait l'accompagner dans son pays.

Je vous recommande d'être son appui en toute circonstance. Par votre esprit et vos connaissances vous êtes à même mieux que tout autre de le guider, nul doute que vous l'aiderez en toute chose.

Nous nous sommes empressés de nous conformer à vos désirs en ordonnant cette mise en liberté. Nous demandons à Dieu d'obtenir des français le bien en retour de ce procédé, attendu que précédemment il ne nous a pas été tenu compte du bien que nous avons fait en leur rendant environ douze cents prisonniers.

Cependant chaque chose à son temps comme chaque réflexion à son à propos.

Salut de la part de votre fils Si Gaddour ben Mahi Eddin. - En date du moins de hedja 1262.

Ecrit d'ordre de notre maître

Pour traduction conforme à l'original en arabe.

Oran le 3 9bre 1846

L'interprète principal attaché à M. le maréchal duc d'Isly

Signé: B. Rousseau

الملحق 4: الصفحة الأولى من ملخّص رسالتي بيجو إلى وزير الحرب 06 ديسمبر 1846، ورسالة وزير الحرب إلى بيجو 5جانفي ANOM. F/80/ 1676.1847

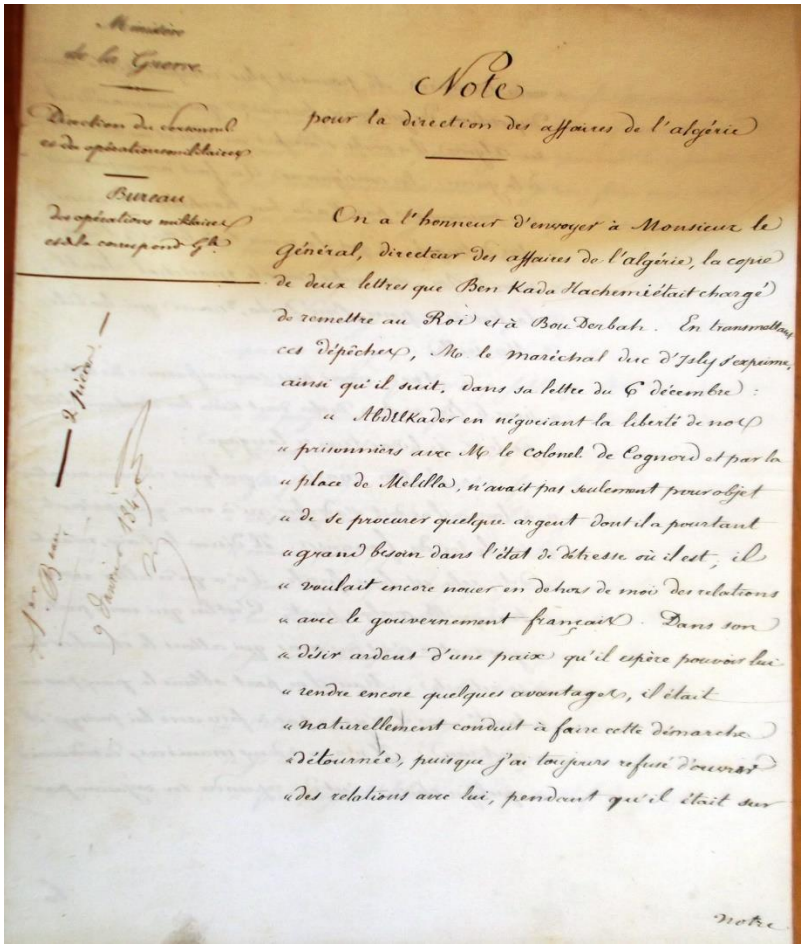

Ministère de la Guerre

Direction du Secrétariat et des opérations militaires

Bureau des opérations militaires et de la comptabilité

Note

pour la direction des affaires de l'algérie

On a l'honneur d'envoyer à Monsieur le Général, directeur des affaires de l'algérie, la copie de deux lettres que Ben Kada Hachemi était chargé de remettre au Roi et à Bou Derbala. En transmettant ces dépêches, Mr le maréchal duc d'Isly s'exprime ainsi qu'il suit, dans sa lettre du 6 décembre :

« Abdelkader en négociant la liberté de nos « prisonniers avec Mr le Colonel de Cognord et par la « place de Melilla, n'avait pas seulement pour objet « de se procurer quelque argent dont il a pourtant « grand besoin dans l'état de détresse où il est ; il « voulait encore nouer en dehors de moi des relations « avec le gouvernement français. Dans son « désir ardent d'une paix qu'il espère pouvoir lui « rendre encore quelques avantages, il était « naturellement conduit à faire cette démarche « détournée, puisque j'ai toujours refusé d'ouvrir « des relations avec lui, pendant qu'il était sur

Notre

الملحق 4: الصفحة السادسة والأخيرة من ملخّص رسالتي بيجو إلى وزير الحرب 06 ديسمبر 1846، ورسالة وزير الحرب إلى بيجو 5جانفي 1847.ANOM. F/80/ 1676

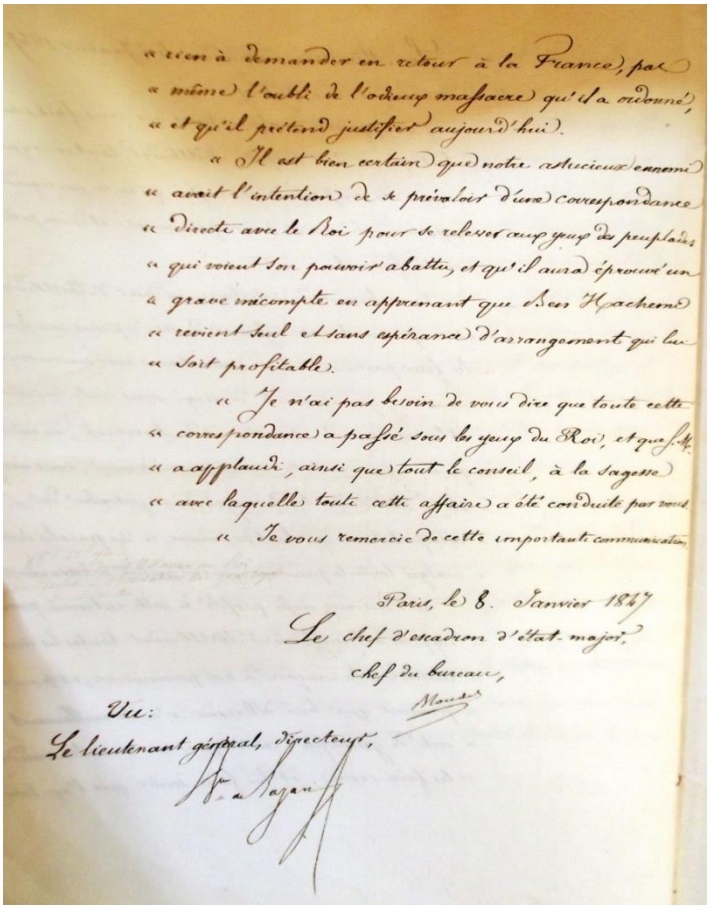

« rien à demander en retour à la France), par
« même l'oubli de l'ordre majestueux qu'il a ordonné,
« et qu'il prétend justifier aujourd'hui.
« Il est bien certain que notre astucieux ennemi
« avait l'intention de se prévaloir d'une correspondance
« directe avec le Roi pour se relever aux yeux des peuplades
« qui voient son pouvoir abattu, et qu'il aura éprouvé un
« grave mécompte en apprenant que Abd El Kader
« revient seul et sans espérance d'arrangement qui lui
« soit profitable.
« Je n'ai pas besoin de vous dire que toute cette
« correspondance a passé sous les yeux du Roi, et que S.M.
« a applaudi, ainsi que tout le conseil, à la sagesse
« avec laquelle toute cette affaire a été conduite par vous.
« Je vous remercie de cette importante communication.

Paris, le 8 Janvier 1847.
Le chef d'escadron d'état-major,
Chef du bureau,
Vu:
Le lieutenant général, directeur,

للإحالة على هذا المقال:

- بلعزوز العربي، (2022)، « **الأمير القادر: استراتيجيات، مواقف، عبر اعتمادا على مصادر أرشيفية** » . **المواقف**، المجلد: 18، العدد: 01، أوت 2022، ص. ص 745-774.